دور المتاحف في الحفاظ على الهوية الثقافية في السودان

د.أحمد حسين عبد الرحمن آدم•

الملخص:

تلعب المتاحف دورا مهما في الحفاظ على الهوية الوطنية والثقافية من خلال ما تحتويه من تراث حضاري وثقافي متنوع، ونجد ان متاحف السودان لها دور محوري في الوحدة الوطنية وتعزيز الهوية الثقافية والحفاظ على المعلومات المتعلقة بالثقافة ونشرها في عالم شهد تغيرات غير عادية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ففي أفريقيا اليوم، تدرك البلدان الدور الهام الذي تؤديه المتاحف في نشر المعرفة عن التراث الثقافي وإمكاناته في تعزيز التنوع الثقافي وانهاء الانقسامات الإثنية، وبما أن المتاحف لها دور مهم في العلاقات الاجتماعية، فإنها تلعب دورا رئيسيا في تشكيل المشهد السياسي والثقافي المستقبلي لأفريقيا ككل والسودان على وجه الخصوص. وبالتالي، تتناول هذه الورقة المتاحف في السودان، والحالة الراهنة لها، فضلا عن تنميتها وتطوبرها.

فالمتاحف هي مؤسسات الحفظ والترميم والبحث والعرض والتعليم .وعلى هذا النحو، تعتبر متاحف السودان موضوعا مثيرا للاهتمام وتستحق بحثا مستفيضا، على الرغم من محدودية البيانات. المتوفرة حولها، وبالتالي يهدف هذا البحث إلى معالجة وإلقاء بعض الضوء على المتاحف السودانية مع التركيز على مجموعات المتاحف التاريخية والأثرية والاثنوغرافية والطبيعية والتي تبين أن المتاحف يمكن أن تكون أدوات ثقافية لتعزيز وحدتنا الوطنية وتعزيز التفاهم والوعي بالثقافات القديمة في السودان، وكذلك تعزيز الروابط مع المؤسسات الدولية الموازية، مثل المتاحف الأخرى في أفريقيا وخارجها، وتتمثل الأهداف الرئيسية للدراسة في لفت الانتباه إلى المتاحف السودانية ودورها الهام في التعليم والدراسات الاجتماعية والمجتمع والبحوث وغيرها، مع تقديم مقترحات لتطوير المتاحف في السودان من الوضع الراهن الى وضع متطور وفعّال.

الكلمات الدالة:

المتاحف؛ الهوية الثقافية؛ السودان

•أستاذ مشارك - جامعة الخرطوم - قسم الآثار – السودان ahmedaba77@yahoo.com

المنارة للاستشارات
www.

مقـــــدمة

تعتبر المتاحف هي المؤسسة التي يمكن أن تملأ الفراغ بين إنجازات الماضي وواقع البشرية الحالي من خلال إبراز النتاج المادي لمسيرة الحضارة البشرية عبر تاريخها وتطورها. فالمتحف يختزن الأدلة المادية لمنجزات الإنسان عبر صراعه مع البيئة المحيطة عاكساً كل معادلة توصل إليها الجنس البشري عبر امتداد مسيرة التكيف والتأقلم صعوداً وهبوطاً مع كافة تحولاتها ، وعلي امتداد الزمان والمكان. إذ يقدم المتحف عصارة التجربة البشرية مجسدة في المقتنيات التي يشاهدها الزائر ماثلة إمامه. وبتعدد فروع المعرفة تعددت أنواع المتاحف وإنماطها.

لقد واكبت المتاحف التطورات المتلاحقة في المجالين النظري والعملي وحفلت بالباحثين وطلاب المعرفة والسياح وقاصدي الترفيه. فأضحي للمتحف دور تعليمي وتثقيفي واجتماعي يفتح نوافذ للتربية والاستنارة وترسيخ الترابط الاجتماعي ويضع لبنات في بنية الهوية الوطنية. غير أن المتاحف تواجه تحديات تتمثل في الأخطار البشرية والطبيعية التي تهدد التراث الحضاري وتشكل تلك المخاطر نزيفاً لا يتوقف. تعمل المتاحف جاهدة علي الحد منها بكافة وسائل الحماية مسترشدة بمنجزات التقنية ومتعاونة مع الجهات ذات الصلة علي المستوى المحلي والإقليمي والعالمي.

أهمية التراث الثقافي:

يمثل التراث الحضاري بكافة أشكاله ذاكرة الشعوب الجمعية، التي تنتقل من جيل إلى جيل، فتمتزج بملامح الشخصية الوطنية وسماتها القومية المتميزة. حيث يشكل تراث الأمم ركيزة أساسية من ركائز هويتها الثقافية، وعنوان اعتزازها بذاتيتها الحضارية، ومرتكزاً مهما لبروزها في الساحة الثقافية العالمية. ولا ينحصر التراث الثقافي في المعالم والصروح والآثار وحدها فحسب، بل هو يشمل كل ما يعبر عن الأمة من تعبير غير مادي، من فولكلور، وفنون شعبية ومعارف تقليدية يتم توارثها عبر أجيال وعصور مختلفة، فهي مجتمعة (مادية وغير مادية) تعبر عن الأمة، وحضارتها وثقافتها التي تميزها عن غيرها من الأمم. ولا شكّ أن التراث يمثّل الذّاكرة الحيّة للفرد وللمجتمع، ويمثّل بالتالي هويّةً يتعرّف بها الناس على شعبٍ من الشعوب؛ كما أن التراث بقيمه الثقافية، والاجتماعية يكون مصدرا تربويا، وعلميا، وفنيا، وثقافيا، واجتماعيا..ذلكم أن تراكم الخبرات يُكوّن الحضارة، وتراكم المعلومات يُكوّن الذاكرة، وهذه الذاكرة بدورها هي التي تمكّننا من فهْم العالم، بأن تربط بين خبرتنا الراهنة، ومعارفنا السابقة عن العالم وكيف يعمل. ولهذه الذاكرة كما للتراث الثقافي الذي يجب الحفاظ عليه اهمية كبيرة لدى الأفراد والمجتمعات.حيث أن لكل شعب موروثاته الخاصة به وهي محفز لحفْظ هويّته الثقافية، ومرتكزا مهماً لها في الاستمرارية والبقاء[١]

[١] الجابري، محمد عابد. ١٩٩٣: نحن والتراث. المركز الثقافي العربي، بيروت. ط ٦، ص ٢٢

المنارة للاستشارات
www.

ولذلك فقد ربط الكثيرون بين الهوية والتراث وحماية التراث وحماية الهوية، فحماية التراث مسألة تؤكد وعى المجتمعات خاصة فيما يتصل بحماية حقوقهم الإنسانية، والربط بين الهوية والتراث بحكم تفسيره من وجهة نظر علم النفس التحليلي هو "عملية نقل عابرة للأجيال"، فانسياب عناصر التراث الثقافي غير المادي ذات الهوية المشتركة يؤدي الى ترسيخ قيم الجماعة لدى الأجيال المنتسبة إليها، وإبقاء الخط المشترك والتاريخي للتعبير عن الهوية الحقيقية، فالربط بين الهوية والتراث يؤسس هوية محددة تخدم تراثاً محدداً ضمن بنية اجتماعية قوية، لانها تمثل فعلاً مشتركاً ناتج عن رغبة وخيار للإنسان لكي يشترك في الرؤى التي تشكل الهوية والتراث، علاوةً على أن الهوية مفهوم أساسي في السلوك النفسي للإنسان، ومن الضروري أخذ هذا المنحى بعين الاعتبار عند وضع أي سياسة أو استراتيجية تتصل بهذا التراث، بحيث تضمن هذه السياسات أو الاستراتيجيات دعائم جديدة لإدارة المصادر الثقافية والاجتماعية والبيئية المختلفة.

مفهوم المتحف:

يعرف المجلس الدولي للمتاحف International Commission of Museums(ICOM)المتحف بأنه "مؤسسة غير ربحية تعمل على خدمة المجتمع وتعرض جميع ما ينتج عن علاقة الإنسان بالبيئة بغرض المتعة والثقافة والتعلم ويفتح أبوابه للعامة". أما جمعية المتاحف الأمريكية American Association of Museums(AAM) فتعرف المتحف بأنه "مؤسسة منتظمة ودائمة غير ربحية بغرض التعلم وعرض الفنون، تحوي مقتنيات مادية تحفظ وتعرض للجمهور تحت إدارة مؤهلة". ويعرف اتحاد المتاحف البريطانية British Museum Association(BMA) أن المتحف "مؤسسة تجمع وتسجل وتحفظ وتعرض وتفسر الأدلة الحضارية المادية والمعلومات ذات الصلة، مصلحة الجمهور"[٢].

ويذكر آخرون "أن المتحف، في أبسط تعريف له هو مبني يحوي مجموعة مقتنيات للبحث والدراسة والمتعة". وهكذا تتعدد تعريفات المتحف، ويصبح من الصعوبة بمكان تحديد تعريف واحد متفق عليه. هناك من يميلون إلى كونه مؤسسة تعليمية بغرض البحث الدراسة وآخرون يرون فيه مكاناً للاسترخاء والمتعة. ويتشكك آخرون من كونه مكاناً جامعاً لمقتنيات بحكم أن هناك متاحف لا تحوي مقتنيات مثل المتاحف الفلكية مثلاً.

أما المصطلح الأجنبي museum فقد اشتق من العبارة الأغريقية mouseion التي تعني مكان التأمل الروحي أو "مزار الفنون"، حسب الاسطورة الأغريقية. واستخدم الرومان العبارة لتعني المكان الذي يجرى فيه الحوار الفلسفي. وفي القرن الخامس عشر أطلقت العبارة على مجموعة مقتنيات لورينزو العظيم أحد أفراد عائلة مديس

[٢] زهدي ، بشير.: – المتاحف – دمشق – منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٨ م، ص ١٣

المنارة للاستشارات
www.

في فلورنسا الإيطالية إبان عصر النهضة. وفي القرن السابع عشر استخدمت العبارة لتصف مجموعة من الغرائب. وتدرج مفهوم العبارة ليصل في القرن الثامن عشر ليعني مؤسسة تعني بحفظ وعرض مقتنيات يملكها الجمهور وتفتح أبوابها أمامه[٣].

ومنذ نهاية القرن الثامن عشر أخذت العبارة تعني مبنى يستخدم لحفظ وعرض مقتنيات التراث الثقافي. وفي وقتنا الحاضر يشمل مفهوم العبارة كل أنواع المتاحف وصالات عرض الفنون. أما مصطلح صالة Gallery الذي يستخدم أحياناً ليعني museum فقد اشتقت من العبارة الإيطالية galleria التي تعني في الأصل مكان عرض البرونزيات والمنحوتات ونحوها.

والمصطلح museum "متحف" في اللغة العربية اشتق من الفعل "تحف" وتعني الشيء الفاخر الثمين يتحف به الشخص، أي يهدى له[٤] .

ويذهب المعنى ليطلق على المكان الذي يحوي معروضات ذات قيمة فنية أو حضارية أو تاريخية أو طبيعية، بغرض الحفظ والعرض والدراسة. وهكذا يتباين مفهوم المصطلح من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر. يحدث هذا مع تحول المفهوم حسب وظيفة المتحف عبر الزمن وحسب دوره ونوعه. فهناك متاحف خاصة وأخرى متخصصة.

المجموعات المتحفية المبكرة:

لعل أقدم الإشارات لجمع مقتنيات "متحفية" تحت سقف واحد تعود إلى عهد الفرعون المصري أخناتون (أمنحوتب الرابع) نحو الأعوام ١٣٥٣-١٣٣٥ ق.م. حيث يذكر أنه قام بجمع بعض الهدايا والهبات التي منحت له وأودعها في مدينته الجديدة، تل العمارنة. بعد ذلك بقليل (نهاية الألف الثاني ق.م) أظهر ملوك أشور اهتماماً بجمع المتاحف ضمن مقتنياتهم في قصورهم. كذلك كان الملك البابلي نابونيد (٥٥٥-٥٣٥ ق.م) يهوى جمع التحف، فقد خصص قاعة خاصة بها في قصره، وذهب إلى جمعها من بين خرائب المواقع البابلية القديمة. وعلى ذلك سارت أبنته الأميرة نيغالدينار التي ذهبت إلى حد عرض مقتنياتها على بعض زوار القصر[٥].

وفي مصر شهد العهد البطلمي، بعد موت الاسكندر الأكبر، قيام بطليموس الأول (٣٢٣-٢٨٥ ق.م) بإنشاء متحف الإسكندرية الذي صُمم من عدة قاعات حوت أنواعاً من الحجارة والمعادن والنباتات والحيوانات بغرض المشاهدة والبحث، مما شكل نواة

---

[٣] فيليب، آدامز. ترجمة: د. محمد حسن عبد الرحمن – دليل تنظيم المتاحف (إرشادات عملية) – القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٣م، ص٣٩-٤٠

[٤] الدباغ. تقي الدين: علم المتاحف ، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩م، ص٢٣ -٣١.

[٥] الدباغ، المرجع السابق، ص٢٣ -٣١.

المنارة للاستشارات
www.

لمتحف حقيقي في ذلك العهد، غير أن الصراعات والحروب الإقليمية حالت دون استمراره[٦].

وفي العصر الروماني شهدت مدينة روما صالة حوت غنائم الحروب التي خاضها الرومان. وإلى جانب ذلك احتفظ العسكريون ورجال الدولة وأثرياء روما بمقتنيات في قصورهم. وحين وصل يوليوس قيصر إلى دفة الحكم (١٠٠-٤٤ ق.م) أمر بجمع تلك المقتنيات في مكان واحد وتحويلها إلى ملكية الدولة وتقديمها للمعبد.

كذلك كان الصينيون مولعون بالنظر في إنجازات الماضي. وخلال حفريات في منطقة هونان تعود للقرن الميلادي الثاني عثر في إحدى غرف القصر على مصنوعات ذهبية وبرونزية تعود إلى أسرة الشانغ تؤرخ إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م. وفي اليابان كشف أن زوجة الامبراطور شومو (٧٢٤-٧٥٦ م) جمعت مقتنيات وأهدتها لمعبد ترايجي في نارا قرب كيوتو[٧].

كذلك كان للخلفاء والأمراء المسلمين دورهم. فالخلفاء العباسيين ومن بعدهم أمراء الدويلات الإسلامية سعوا إلى جمع التحف والاحتفاظ بها في قصورهم. غير أن الفاطميين كانوا الأكثر اهتماماً، فأسسوا دوراً للنفائس من الأسلحة والنقوش والجواهر والمصنوعات.

نشأة المتاحف العامة:

بعد انتشار المسيحية في أوربا وسيطرة الفكر الكنسي على الحياة الفكرية درجات الكنائس على جمع التحف من لوحات فنية ومنحوتات ومخطوطات ونحوها، فتجمعت في الكتدرائيات والكنائس والإديرة قدراً من تلك التحف، دونما قصد لتمجيد الماضي أو إكتراث لتخليد منجزات الأسلاف، بل لإعطاء الكنائس بعداً جمالياً، وفي أحسن الحالات انعكاساً أو إبرازاً لتعاليمها.

كذلك الحال في أروقة الأثرياء وكبار العسكريين ومن هم على تلك الشاكلة، الذين درجوا أيضاً على تزيين قصورهم تجمعت لديهم مجموعات هائلة من التحف من ناحية الكم دونما رسالة محددة تؤديها.

ومنذ عهد أسبق كان صيد الكنوز بنبش المواقع والمدافن القديمة ممارسة امتهنها بعض عامة الناس. تركز الصيد أولاً على القطع المعدنية ذات القيمة المادية من ذهب وفضلة بهدف بيعها كمادة خام والحصول على أثمانها. أعقب ذلك مرحلة تحولت فيها النظرة، لدى العامة أيضاً، والممارسة إلى جمع التحف ذات القيمة الجمالية والفنية، أياً كانت مادتها الخام. وكانوا يحصلون على ما يسد حاجتهم من تلك الممارسة[٨]

---

[٦] دانيال، غلين ، موجز تاريخ علم الآثار ، ترجمة عباس سيد أحمد محمد علي ، دار الفيصل، الرياض ، ٢٠٠٠م، ص ٢٣

[٧] الدباغ، علم المتاحف ، ص٢٣ -٣١.

[٨] المرجع السابق ، ص٢٣ -٣١.

المنارة للاستشارات
www.

ثم كان عصر النهضة (القرن الرابع عشر إلى السابع عشر الميلادي) حيث كانت النقلة من الفكر اللاهوتي الذي سيطر على الحياة العامة إلى بلورة علوم طبيعية وإنسانية. وأخذت النظرة للظواهر الطبيعية تتحول عن النظرة اللاهوتية المرتكز علي التفسير الكنسي للكتاب المقدس السابقة بإعادة النظر في قوانين الكون، ومعها أخذت النظرة لتلك المقتنيات تتحول أيضاً. غير أن طرق جمعها وعرضها لم تخرج عن "المنهج" السابق. ظلت المجموعات الخاصة هي الظاهرة المهيمنة على ما نطلق عليه اليوم "التراث الحضاري المادي" للبشرية. كان من أروع المجموعات تلك التي تملكها عائلة مديسي في فلورنسا فقد قامت العائلة بعرض جزء منها للجمهور في الطابق العلوي من قصر يوفيزي عام ١٥٨٢م. وحين تضخمت المجموعة أهدتها الأسرة للدولة عام ١٧٤٣م.

كذلك كان من أشهر تلك المجموعات مجموعة أولي فورم في الدنمارك في نحو ١٦٥٠م، ومجموعة ترادسكانت في عام ١٦٥٦م في بريطانيا. وفي أروبا الوسطى والشرقية اشتهرت مجموعات الملك ماثيو ملك هنقاريا ومجموعة ماكسمليان الاول ملك النمسا ومجموعة رودلف الثاني في براغ والبرت الخامس في بفاريا ومغسموند الثاني ملك بولندا وغيرهم خلال ذات الفترة[٩] (زهدي: ١٩٨٨: ٩-١٥).

في نهاية القرن السابع عشر برزت الإطلالة الأولى للمتاحف الحديثة في أوربا. ففي عام ١٦٦٢م قامت مدينة بازل السويسرية بشراء مجموعة أمر باخ منع بيعها خارج البلاد وأودعتها في مكتبة الجامعة ليتم افتتاحها كمتحف جامعي مفتوح للجمهور في عام ١٦٧١م. بعدها قام الياس أشمول بإهداء مجموعته الخاصة لجامعة أكسفورد لينشأ عنها أول متحف عام بالمعنى الحديث في عام ١٦٨٣م. كان أشمول قد حصل على مجموعة ترادسكان البريطاني عام ١٦٥٩م حين قام بشرائها وضمها إلى مجموعته، ثم أهداها جميعها إلى جامعة أكسفورد ليفتح المتحف الأشمولي the Ashmolean Museum في مدينة أكسفورد على يد الملك جيمس الثاني.

وفي بريطانيا كذلك كان الطبيب البريطاني هانس أسلون يمتلك مجموعة نادرة من المقتنيات، كما كان المستر هنري يمتلك مجموعة من المخطوطات النادرة، وللسيد كوتون مكتبة. جمعت هذه المجموعات الثلاثة حين قامت الحكومة البريطانية بشرائها لتصبح نواة المتحف البريطاني الحالي the British Museum الذي أفتتح في مدينة لندن عام ١٧٥٩م.

أما في فرنسا فقد شهدت مدينة بيزنسو أول متحف فرنسي حين حولت مجموعة كنيسة سنت فيسنت التي تحوي مكتبة ولوحات وميداليات إلى متحف أفتتح في عام ١٦٩٤م. بقيت العاصمة الفرنسية بعض الوقت قبل أن تشهد افتتاح أول متحف فيها. فبعد نجاح الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م ونهاية الحكم الملكي وقيام الجمهورية،

[٩] زهدي ، المتاحف، ص ٩-١٥.

المنارة للاستشارات
www.

جمعت مقتنيات القصور الملكية لتؤسس متحف اللوفر Louvreفي باريس. كان افتتاح المتحف للجمهور محل جدل لبعض الوقت، ثم افتتح بشكل مؤقت عام ١٧٩٣م حتى كان افتتاحه بشكل تام ١٨٠١م. وخلال حملات نابليون على أوربا جلبت الجيوش الفرنسية الكثير من المقتنيات الفنية والأثرية التي وجدت طريقها لمتحف اللوفر، حتى كان مؤتمر فينا في عام ١٨١٥م الذي طالب باستعادة تلك الممتلكات إلى بلدانها.

وفي دولة الفاتيكان افتتح متحف الكبتولاين عام ١٧٣٤م وتبعته متاحف أخرى صغيرة خلال الأعوام ١٧٤٩-١٧٧٢م[١٠].

أما في أسبانيا فإن المجموعة الملكية في قصر الأسكريال فقد تم افتتاحها للجمهور في حالات محددة خلال نهاية القرن الثامن عشر (١٧٨٥م) حتى كان افتتاحها الرسمي في عهد الملك الأسباني شارلس الثالث.

توالى إنشأ متاحف وصالات عرض في أوربا، فكان متحف امستردام في هولندا في ١٨٨٥م ومتحف برلين وديسلدوف وفينا وكوبنهاجن وميونخ وغيرها خلال القرن التاسع عشر. أما آخر المتاحف الكبرى الذي نتج عن مجموعة متحفية فهو متحف الهيرمتاج Hermitageفي بطرسبرج (لينينغراد سابقاً) نتج ذلك المتحف عن مجموعة الطبيب الهولندي البرت تسيبا التي كان قد جمعها عبر أسافره في الشرق.وخلال زيارة قام بها بطرس "العظيم"، قيصر روسيا، لأوربا الغربية حين كان مولعاً بالحضارة الغربية وساعياً لالحاق روسيا بركب الغرب، قام بشراء تلك المجموعة (وقيل أن الملكة كاثرين هي التي قامت بشرائها) بنحو ثلاثين ألف جنيه استرليني لتصبح نواة متحف الهيرمتاج الذي تأسس في نحو ١٧٦٦م. غير أنه ظل خاصاً بالبلاط الملكي ولم يفتتح للجمهور إلا في عهد نيكول الأول، قيصر روسيا، عام ١٨٥٢م[١١].

أقدم المتاحف خارج القارة الأوربية كان من نصيب الولايات المتحدة الأمريكية، وإن لم تنشأ المتاحف هناك وليدة مجموعات متحفية كما في أوربا بل كانت في معظمها نتيجة قرارات بإنشائها. كان أولها في عام ١٧٧٣م حين أبدت جمعية مكتبة كارولينا الجنوبية رغبة في إنشاء متحف للتاريخ الطبيعي في مدينة شارلستون.

أعقب ذلك بقليل إنشاء متحف خاص للسيد شارلس بيل في عام ١٧٨٥م. ليتطور بعد ذلك ويصبح نواة لمتحف فلادلفيا في عام ١٨٢١م.

وبمبادرة وتبرع سخي من البريطاني جيمس اسمثون، ابن هيو إسمثون، أنشأ المتحف الاسمثونيthe Smithsonian في واشنطن عام ١٨٤٦م بهدف "تطوير ونشر المعرفة بين أبناء البشرية". وفي نحو عام ١٨٧٠م أنشأت في أمريكا ثلاثة

---

(١٠) دانيال، موجز تاريخ علم الآثار ، ص٢٨

(١١) الدباغ، علم المتاحف ، ص٢٣ -٣١.

المنارة للاستشارات
www.

متاحف كبرى،هي متحف التاريخ الطبيعي ومتحف المتروبلتان the Metropolitan في نيويورك ومتحف الفنون الجميلة في بوسطن[١٢].

شهدت كندا ميلاد أوائل متاحفها في النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨٢٢-١٨٥٠م) حيث أنشأت متاحف صغيرة في نوفسكاتيا وهليفاكس ومنتريال. وفي وقت لاحق دمجت متاحف بلدية أونتاريو والمتحف الجامعي ومتحف كلية فكتوريا لتؤسس متحف أونتاريو الملكي عام ١٩١٢م.

أما في أمريكا الجنوبية فإن أقدم متاحفها يعود إلى عام ١٨١٥م في ريودوجانيرو في البرازيل نتيجة مجموعة من اللوحات أهداها جون السادس ملك البرتقال. بعد ذلك بقليل أنشأ متحف الأرجنتين في بوينس أيرس عام ١٨٢٣م. تبعه متحف في كولمبيا في عام ١٨٢٤م وآخر في شيلي في عام ١٨٣٠م، وثالث في الأرغوالي في عام ١٨٣٧م. في استراليا أسس متحف للتاريخ الطبيعي عام ١٨٧٤م مستنداً على مجموعة تخص الجمعية الفلسفية الاسترالية في سدني تعود إلى عام ١٨٢١م. ثم ظهرت متاحف أخرى، عامة وخاصة، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في بعض المدن الاسترالية ونيوزيلندا[١٣].

وفي آسيا كان إنشاء متحف كلكتا في الهند في عام ١٨١٤م وافتتح المتحف الوطني في طوكيو عام ١٨٧١م ومن بعده متحف التاريخ الطبيعي أيضاً في عام ١٨٧٧م. وفي أندونسيا تطورت مجموعة جمعية بتافيا (١٧٧٨م) لتصبح متحف أندونسيا المركزي. وشهدت مدينة شنغهاي في الصين افتتاح متحف سيكوي في عام ١٨٦٨م.

في أفريقيا، كان إنشاء أول متاحفها في دولة جنوب أفريقيا حيث افتتح متحف مدينة الكاب عام ١٨٢٥م. أما متحف القاهرة فقد تم إنشاءه في عام ١٨٤٨م. وفي العقد الأول من القرن العشرين (١٩٠٠-١٩١٠م) أنشأت متاحف في مدن أفريقية أخرى، من بينها الخرطوم (١٩٠٢م) ونايروبي (١٩٠٩م) وسلسبري (١٩٠٢م)[١٤].

زادت وتيرة إنشاء المتاحف خلال القرن العشرين حتى وصلت إلى نحو ٣٥ ألف متحف في العالم، جلها في أوربا وأمريكا الشمالية. وكما زادت في الكم فقد زادت في الكيف لتنشأ أنواع أخرى مثل متاحف التراث الشعبي التي بدأت في السويد والمتاحف الموجه لنشر فكر محدد مثل بعض المتاحف في الاتحاد السوفيتي السابق وأخرى للدعاية مثل متحف الهولوكست للدعاية بما يسمي المحرقة اليهودية،ومتاحف

---

[١٢] الشاعر، عبد الرحمن. مقدمة في تقنية المتاحف التعليمية، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٢م، ص ١١.

[١٣] الدباغ، علم المتاحف ، ص٢٣ -٣١.

[١٤] زهدي ، المتاحف، ص١٣.

المنارة للاستشارات
www.

أخرى مثل تلك التي تعرض للحروب العالمية.ونشأت متاحف للعلوم والتكنولوجيا والفلك ومتاحف الطيران[١٥].

متاحف البيوت التاريخية:

نعني بمتاحف البيوت التاريخية تحديداً البيوت والمنشآت المعمارية التي حولت إلى متاحف مفتوحة للجمهور بما فيها من أساس ومحتويات وقطع منقولة وغير منقولة والحفاظ عليها بالصورة التي تركت بها أو وجدت عليها دون تدخل. والبيوت التاريخية منازل لأفراد مشاهير ومعروفين كان لهم دور في تاريخ الأمة، سواء كان ذلك في مجال الفكر أو الأدب أو الفن أو العلوم أو السياسة أو المجال العسكري ونحو ذلك. وربما تكون المنشآت مباني إدارية أو عسكرية كان لها دور أيضاً في تاريخ البلد.

برز هذا الاتجاه أول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية حين جاءت فكرة تحويل بيوت من لعبوا دوراً في تاريخها السياسي. فتم تحويل مقر جورج واشنطن الرئيس الأمريكي الأول إلى متحف في عام ١٨٥٠ م [١٦].

هذا المتاحف تعكس واقعاً حقيقياً وأجواءاً حقيقية تربط بين المبنى وما فيه من أساس ومعروضات خلافاً للمتحف التقليدي الذي يفتقر إلى الصلة العضوية بين مبناه وما يحوي من معروضات. فالمبنى حديث والمعروضات قديمة. ومعروضات البيت التاريخي لا تجد قيمتها بمفردها، وإنما تأتي قيمة المعروض من قيمة المجموعة، أي من قيمة الإطار الذي وجدت فيه بكامله. فالبيت ومحتوياته يشكلان وحدة متكاملة ومتناسقة. ومن هنا تأتي الدلالة التاريخية للبيت. فهي أما أن تؤخذ بكاملها أو تترك بكاملها[١٧].

كذلك يضع البيت التاريخي الزائر في اتصال مباشر مع التاريخ ويفرض أجواء حقيقية بحيث يعيش الزائر في الجو التاريخي ويسترجع أحداثا ووقائع تلك الفترة. ويجسد واقع من عاشوا في البيت واستخدموا محتوياته. وهذا الشعور ربما لا يتأتي في المتحف العادي حيث تنعدم الصلة بين المبنى والمعروض.

يتيح مثل هذا المبنى للإنسان أن يواجه الماضي بشكل واضح وجهاً لوجه. ويقدم البيت التاريخي قيمة رمزية للماضي حيث يجسد أحداثه ووقائعه. وبحكم أن هدف البيت التاريخي ليس عرض التاريخ الجامد، ولا الماضي عديم الحركة، وإنما تجسيد الماضي وإحياء التاريخ، فهو بالتالي يقدم شهادة واقعية وحقيقية لحقبة من التاريخ أو لوقائع محددة تركت أثراً فيه. وبما أن البيت التاريخي يعود بالزائر إلى الماضي فإنه

---

[١٥] الدباغ، علم المتاحف ، ص٢٣ -٣١.

[١٦] العوامي، عياد موسى. مقدمة في علم المتاحف – طرابلس – الطبعة الأولى – المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ١٩٨٤ م، ص٢٧

[١٧] المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، متاحف الفنون الشعبية ، تونس، ١٩٩٥م،

المنارة للاستشارات
www.

يحول خيال الزائر إلى حقيقة. فبدلاً من أن يحاول الزائر أن يتخيل الماضي في المتحف التقليدي، يشاهد الزائر هنا واقعاً ماثلاً في البيت التاريخي. بحيث يقترب الإنسان من ذلك الماضي وممن عاشوا في المكان.

وعند زيارة البيت التاريخي يجب أن يعطي الزائر فكرة مفصلة عن تاريخ البيت وإنشائه ودوره وصاحبه ودور صاحبه وكل التفاصيل التي تكشف ذلك في تاريخ البلد والمكان. قد يتطلب البيت التاريخي أحياناً بعض أعمال الترميم والصيانة وهذا يتطلب قدراً من الحذر كي لا يتم التصرف في الصورة الأصلية للبيت في شكله أو محتوياته. بحيث لا تدخل عليه مباني إضافية أو تعديل أو تحويل في المداخل أو المنافذ أو السقوف أو نحوها بالشكل الذي يفسد الصورة الأصلية.

من بين البيوت التاريخية المعروفة في السودان اليوم والتي لا تزال شاخصة بكاملها أو أجزاء منها، وإن لم تحول إلى متاحف بالشكل الذي يجب أن تكون عليه.مبني القصر الجمهوري الحالي في الخرطوم الذي كان مقراً للحاكم التركي خلال فترة الحكم التركي في السودان، وكذلك خلال فترة الحكم البريطاني. وقصر جاكسون في مروي الذي اتخذه جاكسون باشا حاكم الإقليم الشمالي مقراً بأن فترة الحكم البريطاني. وقصر الشناوي في سواكن الذي يعود إلى الحقبة التركية. وقصر السلطان علي دينار، آخر حكام مملكة الفور في الفاشر. وبيت الخليفة عبد الله في أمدرمان إبان حقبة الدولة المهدية. وهناك أيضاً منزل برمبل، أول مفتش بريطاني لأمدرمان، في حقبة الاستعمار البريطاني. والطابية العسكرية المطلة على مطار الخرطوم التي أنشأها البريطانيون في بداية عهدهم بالسودان كقلعة تحوي مباني إدارية وأمنية وسجن وحصن عسكري[١٨].

متحف بيت الخليفة عبد الله في أمدرمان

[١٨] سيد احمد، ٢٠١٠، ٣٢

المنارة للاستشارات
www.

منزل الرئيس الأمريكي الثالث توماس جفرسون

أنواع المتاحف وأهدافها:

تتباين أنواع المتاحف وتتعدد حسب انتسابها وتخصصاتها وأهدافها، فهناك في مجال الانتساب نجد المتاحف الرئيسية: وهي المتاحف الكبرى التي تتبع وتمول من قبل الدولة سواء كانت من حكومة مركزية أو فدرالية. والمتاحف المحلية (الإقليمية) وهي المتاحف التابعة للولايات وعادة تكون متاحف صغيرة محددة العرض والإمكانات. ومتاحف مؤسسات: تدخل ضمنها المتاحف الجامعية ومتاحف الجمعيات العلمية والمؤسسات وبعض صالات العرض. والمتاحف الخاصة وهذه تخص أفراد أو عائلات وتقع تحت ملكيتهم الخاصة غالباً ما قام بجمعها أو شرائها أسلافهم وتوارثوها عنهم ويقومون هم بإدارتها وتمويلها.

وفي مجال التخصص، هناك العديد مما يصعب حصره في أنواع المتاحف، منها متاحف الآثار: تحوي مقتنيات التراث الحضاري البشري على امتداد الحقب الحضارية. ومتاحف التراث الشعبي: تحوي الموروث الثقافي المادي للشعوب والمجموعات الاثنية.ومتاحف التاريخ الطبيعي: وتعرض لكافة المكونات الإحيائية (حيوانية ونباتية) عبر تاريخها. ومتاحف العلوم التي تعرض تطور مختلف العلوم بدءاً من انشطار العلم عن فروع المعرفة وغيرها[١٩].

كما تتباين أنواع المتاحف، كذلك تتباين أهدافها. فلكل متحف رسالة يهدف إلى إبلاغها. وقد تتجدد أو تتطور وتتعدل الأهداف مع مسيرة التطور العلمي. ففي المراحل المبكرة كان الجمع والعرض يتم بشكل عشوائي مركزاً على القطع ذات القيمة الجمالية والبحث عن النوادر وغرائب الأشياء لأهداف لا علاقة لها بأهداف المتحف الحالي. يمكن تلخيص الأهداف الحالية العامة للمتحف في حفظ المقتنيات التي تستحق الحفظ لأسباب علمية أو تاريخية أو فنية. وتصنيف المقتنيات بمنهج

[١٩] الشاعر، مقدمة في تقنية المتاحف التعليمية، ص ٢٢ ٩٩٦

المنارة للاستشارات
www.

تراتبي صارم يوحي بتطور تقني أو حضاري أو زمني. كذلك إيصال رسالة تثقيفية للمواطن بمسيرة الحضارة البشرية. بجانب رفع درجة الوعي لدى المواطن بدفع جدار معرفته بانجازات الإنسان. وكذلك إبراز التحولات الكبرى في مسيرة الحضارة خاصة تلك التي شكلت قفزات في تاريخ البشرية. كذلك نجد إبراز الابتكارات الكبرى، فنية وتقنية، وحفظها للأجيال القادمة. ورفع الحس الوطني وتجسيد الانتماء وتشكيل الهوية والمساهمة في تربية صغار السن بإبراز إنجازات الأسلاف عبر تحديات الماضي. وغيرها من إجراء الأبحاث الميدانية والمختبرية والمكتبية والترفيه والمتعة وتنشيط السياحة[٢٠].

وظائف و أهمية المتاحف:

- تساهم المتاحف في التربية التثقيف والتوعية وحفظ الآثار والمقتنيات التاريخية والفنية.
- ربط الأجيال بماضيها وحاضرها والتخطيط لمستقبلها. بجانب إثراء الجانب المعرفي والوجداني للشعوب والمساهمة في التعريف بالتاريخ والثقافة الشيء الي يؤدي الى تنمية روح الإنتماء.
- جعل عملية التعلم أكثر إثارة وتشويق من واقع التطبيق العلمي لما يتم دراسته نظريا.
- الإطلاع على المصادر الثقافية ومعرفة الدلائل التاريخية ومميزات كل عصر والإختلاف من حيث المكونات الثقافية والحضارية التي تساهم في التواصل الفكري والمعرفي وكذلك السماح للزائر بالتعامل مع التحف والمعروضات بشكل مباشر.
- المحافظة على الهوية الوطنية بتوثيق مسيرة الشعوب لكونها منبعا ومصدرا مهما للإبداع والإبتكار وإعداد الأجيال والتواصل بين الشعوب والثقافات والحضارات المختلفة.

المتاحف ودورها في حفظ التراث الثقافي:

إن الباعث للاهتمام بالتراث الآثاري للأمم هو ما يقوم به من دور في ربط الشعوب، حيث أن الآثار تمثل عنصراً أساسيا لثقافة وحضارة الأمم، ونجد ان دراسة التاريخ القديم لشعب من الشعوب، او لامة من الامم من واقع الاثار الخاصة بها هو المدخل الطبيعي لتفهم حاضر شعبها. فلا جدال ان كيان كل منا فيه شئ ما من تراث الاف السنين من الحضارة التي ابتدعها فكر وعمل اجدادنا الاوائل. كما ان التراث الحضاري السوداني والذي يتكون من جماع تشكيلات ثقافية محلية ووافدة لهو اكبر من ان يحدد بمرحلة حضارية واحدة، فبدأا من العصور الحجرية وانتهاءا بالفترة الاسلامية نجد ان هنالك تراث ضخم لم يلق الاهتمام والعناية التي تليق به. حيث كان

[٢٠] فيليب، آدامز، دليل تنظيم المتاحف (إرشادات عملية)، ص٢١ -٢٣.

المنارة للاستشارات
www.

للمتاحف الدور الرئيسي والمحوري في الحفاظ على هذا التراث الانساني العظيم. لقد كان للرواد الأوائل في مجال علم الآثار السوداني دورا كبيرا في التعريف بحضارات السودان التي تمتد منذ عصور ما قبل التاريخ والتي تشمل العصور الحجرية بسماتها الثقافية المختلفة ثم حضارة كوش الاولى التي تمثلها فترة كرمة والتي تليها فترتي نبتا ومروي، ثم تليها الفترة المعروفة بفترة ما بعد مروي والتي شكلت الاساس الذي قامت عليه الفترات الوسيطة ممثلة في الممالك المسيحية والممالك الاسلامية المبكرة. كما نجد انتشار الاسلام والثقافة العربية الذي تم خلال تلك الفترات والذي تبعه انتشار كبير للثقافة العربية الاسلامية بالسودان، وقد تلتها فترة الحكم التركي التي تمثل بدايات تاريخ السودان الحديث[٢١] .

لقد تفرد كل من اولئك الرواد بدوره في إطار الكل وعملوا متضامنين علي دفع عجلة الدراسات الأثرية والآثار وحمايتها وصيانتها وحفظها والنشر العلمي لها، كما أهلوا الجيل الأول من علماء الآثار السودانيين وحملوا هم تطوير الإرث الثقافي للأمة السودانية. وبرغم ذلك فقد ساعدت أعمال التنقيب بولايات السودان المختلفة للكشف عن الكثير من المقتنيات الأثرية والتراثية والتاريخية مما ساعد على وضع تصور للعرض بالمتاحف حسب التسلسل التاريخي الذي يبدأ بفترة ما قبل التاريخ وينتهي بفترة الحضارة الإسلامية والتاريخ الحديث. كما إن التطور الذي نعيشه الآن في مجال الآثار من إنشاء للآثار في الجامعات الجديدة إلي إقامة متاحف جديدة في أقاليم السودان المختلفة إضافة إلي معارض الآثار الداخلية والخارجية والإصدارات السودانية عن الآثار، كان لهم الفضل الأكبر في إثراء ثقافتنا السودانية[٢٢] .

المتاحف في السودان:

يذكر أحد القساوسة الذين عاشوا في السودان في الحقبة المهدية أن بيت المال في أمدرمان حوى قاعة مكتوب على مدخلها "بيت الانتيكات" وبداخل القاعة قطعاً أثرية وتراثية وبعض مقتنيات حروب المهدية. كان ذلك في نحو عام ١٨٩٠م. ولم يعثر على أثر لتلك القاعة ولا محتوياتها بعد ذلك.

ومع بداية الحقبة الاستعمارية في السودان أنشأ السير ونجحت مدير المخابرات، الذي جاء مع كتشنر، وخلفه في حكم السودان، قاعة في كلية غردون (جامعة الخرطوم حالياً) عام ١٩٠٢م جمعت فيها بعض القطع المتحفية. وفي عام ١٩٠٥م صدر أول قانون للآثار وجه بإنشاء إدارة متحفية تابعة لإدارة التعليم (وزارة المعارف لاحقاً) أوكلت إدارتها للسيد كروفوت الذي كان مفتشاً للتعليم وقتها، كموظف غير متفرغ وظل المتحف دون إدارة وإشراف مباشر، يفد إليه بعض طلاب

[٢١] العوامي، مقدمة في علم المتاحف ، ص ٣٣

[٢٢] الدباغ، علم المتاحف ، ص٢٣ -٣١.

المنارة للاستشارات
www.

الجامعة وبعض الشخصيات التي تفد إلى البلاد زائرة. وكانت تصل إليه بعض المعثورات الأثرية من حين لآخر، خاصة بعد المسح الأثري الإنقاذي الذي كان يجري في شمال السودان نتيجة إقامة سد أسوان. خلف كروفوت زميله أديسون الذي أعد أول دليل للمتحف باللغة الإنجليزية عام ١٩١٠م، ورتب بعض المجموعات المتحفية وأضاف خزائن للعرض[٢٣].

خلال السنوات ١٩١٦م-١٩٢٣م أجرت بعثة جامعة هارفارد ومتحف بوسطن حفريات في مواقع حضارة نبتا في البركل والكرو ونوري. ونتيجة لهذا العمل افتتح متحف مروي عام ١٩٢٥م الذي أنشأه جاكسون حاكم الإقليم. وفي عام ١٩٣٠م انتقل المتحف في الخرطوم، من مكانه في كلية غردون إلى قاعة أكبر حجماً وافتتح للجمهور بشكل رسمي. وتعاقب على إدارته عدد من الإداريين البريطانيين من أساتذة كلية غردون كمشرفين غير متفرغين[٢٤].

وفي عام ١٩٣٩م عين أنطوني أركل مديراً لما أطلق عليه مصلحة "الآثار والمتاحف والانثروبولوجيا ". وأخذت المجاميع المتحفية تفد على المتحف. ونادت أصوات بتوسيع المبنى أو إنشاء مبنى جديد له وتخصيص ميزانية منفصلة. وخصصت قطعة أرض قرب كلية غردون لإنشاء المتحف، غير أن الميزانية المخصصة لم تصدق. وقادت ظروف الحرب العالمية الثانية أركل ليبتعد عن السودان لأداء الخدمة العسكرية في أوربا.

بعد الحرب ترك أركل العمل في السودان بشكل نهائي عام ١٩٤٩م ليلتحق بجامعة لندن، بعد الحرب أجرى تنقيبات في الخرطوم والشهيناب والقوز إلى جانب عدد من المسحوحات ويخلفه بيتر شيني. وفي عهد شيني توسعت مصلحة الآثار وفتحت وظائف، وتم تعيين أول ضابطين وطنيين هما ثابت حسن ثابت ونجم الدين محمد شريف. كان ذلك في عام ١٩٥٢م.

قام شيني بإجراء عدد من التنقيبات الآثارية في الغزالي وتنقاسي وغيرها وأنشأ دورية كوش وعدداً من النشرات العلمية. ومع إعلان الاستقلال في عام ١٩٥٦م "سودنت" وظيفة المدير العام. ونسبة لعدم وجود سوداني مؤهل يشغل الوظيفة عين الفرنسي فركوتير مديراً لها. قام فركوتير بإجراء تنقيبات في عدد من المواقع من بيها مرقسا وود بانقا. بهذا تداخل المتحف وإدارة الآثار بشكل فعلي. وحين جاءت فكرة إنشاء السد العالي وإجراء أعمال آثارية إنفاذية في المنطقة التي غمرتها لاحقاً مياه بحيرة ناصر،طرحت اليونسكو مشروعاً لإنقاذ آثار منطقة النوبة. جرت تلك

---

(٢٣) سيد أحمد: ٢٠١٠: ٣٤

(24) Adam, Ahmed, H, A Museums in Sudan: Current situation and challenges, A workshop on: Museums in Africa, Ghana, Accra, Septemer 2013 .

المنارة للاستشارات
www.

الأعمال بين الأعوام ١٩٥٩م-١٩٦٥م وكشفت عن كم من المواقع وتكدست مادة أثرية لم يكن بوسع المتحف القديم تحملها[٢٥] .

أختيرت منطقة عند مقرن النيلين الأزرق والأبيض في مواجهة جزيرة توتي لإنشاء المتحف الجديد، خططت فيها حديقة وأقيم نهر صناعي وقاعات للعرض ومستودع ومكاتب إدارية ومختبرات.

أعيد تشييد المعابد التي نقلت من منطقة النوبة ونقلت محتويات المتحف السابق وأفرع متحف مروي من محتوياته وإلى جانب ما جاء من منطقة النوبة افتتح المتحف الجديد عام ١٩٧٢م. إلا أنه بعد قيام المتحف أخذت المنطقة حوله تتكدس بالمباني والأكشاك العشوائية مما أفسد الموقع وأخذت بعض الأمور تسير في الاتجاه المعاكس. فالسور حول المتحف غير واقي بالقدر الكافي وجف النهر الصناعي وذبلت الحديقة وبقي المتحف يعاني من الكثير من جوانب القصور بسبب قصور الاعتمادات المالية المخصصة له ونحوها.

المتاحف والهوية الوطنية والثقافية للسودان:

ليس من شك أن الكثير من بلدان العالم الثالث شكلت كيانات تحددت حدودها السياسية ورسمت بناءاً على مصالح استعمارية قامت على أساسها هذه الكيانات متعددة الاثنيات والثقافات. فإن كان لهذه الكيانات، في إطار حدودها الجيوسياسية أن تنشئ دولاً بمشروعات تنموية نهضوية، فستجد نفسها أمام تحدي لصهر تلك الثقافات ومزج تلك الاثنيات بجمعها في بوتقة وطنية بقواسم مشتركة تشكل الحد الأدنى من تلك القواسم دون إلغاء أو تهميش لأي ثقافة أو مجموعة اثنية.

لكل من تلك الثقافات والاثنيات تاريخها. وتراثها والآثاريون وغيرهم من دارسي الثقافات لا يملكون سوى احترام كل ثقافة أياً كانت بحكم أنها نابعة عن تكيف يحكمه زمان ومكان ولا مجال لتجاهل أو تهميش أو تحقير أي ثقافة، كما ذكرنا. وأن كان لكل أمة أن تستند إلى ماضيها، فإن بناء الدولة يتطلب قاعدة ثقافية محلية تضع عليها الدولة بنائها الأساس قبل أن تضيف إليه. والتراث لا يؤخذ بكامله ولا يرفض بكامله. فالدولة القومية في أوربا بزغت منذ القرن الثامن عشر وفق تطور تاريخي. وقتها نشأت حركات تنادي بالمحافظة على الموروث الثقافي والطبيعي للأمة

(25) Adam, Ahmed, H, A Museums in Sudan: Current situation and challenges, A workshop on: Museums in Africa,

المنارة للاستشارات
www.

متحف السودان القومي

وظلت تنادي بالمزيد من البحث في قضايا التراث والهوية والأصالة والجذور المشتركة. وتجاوز الغرب التعامل التقليدي للتراث من حفظ وترميم إلى قضايا التنمية المتكاملة والمساهمة في تماسك نسيج المجتمع ونهضته. حيث يمكن إذاً استغلال الماضي في خطط شمولية لإبراز الهوية كأحد محركات النهضة. وهنا نحتاج إلى تعريف مفهوم عصري للتراث واستخدامه لتأكيد مفهوم الهوية. ومن ثم خلق مجتمع متجانس ومتسامح ومتساوي يعترف بقيمة كل الثقافات وتفهم قضاياها وسد الفجوة التي تبرزها بعض المجموعات المهيمنة[٢٦].

إن مصطلح الهوية مأخوذة من "هو" بمعنى جوهر الشيء وحقيقته، فهي كالبصمة للإنسان يتميز بها عن غيره. وتُعرّفُ الهوية أيضا بمعنى " التفرّد"، فالهوية الثقافية تعني التفرّد الثقافي بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوكٍ، وميلٍ، وقيمٍ، ونظرةٍ إلى الكون والحياة. كما إن مفهوم " الهوية " لا يجب أن يؤخذ بالبساطة العفْوية، إذْ لا يزال يلفّه الكثير من الغموض، فالهوية الثقافية، هي تعبير عن الحاجة إلى الاعتراف والقبول والتقدير للإنسان كما هو في تفرده وتميزه. ففي الهوية الثقافية تشتغل جدلية الذات والآخر وتعيد كل جماعة بشرية تأويل ثقافتها من خلال اتصالاتها الثقافية، أو قد تنزع نحو المثاقفة- وما يشبهها، وهي كذلك كائن جماعي حي يتحول ويتغير من الداخل على ضوء تغير المصادر القيمية والسلوكيات، ومن الخارج بفعل أشكال التأثير الخارجي الناتج عن علاقة الفرد بالمحيط. وأيضا "كيان يصير، يتطور، وليست معطىً جاهزا ونهائيا. وهي تصير وتتطور، إما في اتجاه

(٢٦) مجموعة أوراق (المتاحف والحضارة والتنمية) عمان – الأردن – مؤتمر بمبادرة من المجلس الأعلى للمتاحف – نيسان ، ١٩٩٤.

المنارة للاستشارات
www.

الانكماش وإما في اتجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، بانتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما. إنها الحد المكتسب من المعارف والتصورات والممارسات الفكرية لدى الإنسان في محيطه الاجتماعي، والتي تلقاها لمصلحته ومصلحة هذا المحيط، والهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى[٢٧].

ووفقا للعديد من الدراسات السوسيولوجية، والأنتربولوجية التي تتفق على كون الهوية تُـعدُّ معطى اجتماعيا يقوم على مبدإ التطابق والانسجام، ويحمل دلالات التنوع والتكامل والاختلاف، فإن الهوية تشتغل في التراث الثقافي كشرط وكمناخ؛ فهي سند الإبداع، وشرط الإحساس بالذات والانتماء، بل هي التعبير الصادق عن الذات في أقصى درجات انتشائها واحتفالها، هي بذلك تغدو منطلقا وطريقا وهدفا، إنها ترتكز على شعور غريزي بالانتماء والمحلية وتظهر ملازمة للثقافة الخاصة في حدود ملامحها الأصلية والأهلية التي تشكل حاملا للهوية الجماعية، أي الهوية القائمة على الإرث الثقافي والسلالة المشتركة، ومن ثم، فهي تساعد على اكتشاف النسق البنياني للمجتمع حتى يتحول إلى كل منسجم على مستوى الوعي[٢٨].

إن الهوية الثقافية هي المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفن والسلوكيات والقانون والعرف، ويدخل في ذلك القدرات والسلوكيات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع كما أن تلاقح الثقافات من خلال الانفتاح على الآخر والحوار معه والأخذ من ايجابياته، وتبادل المنافع معه يعتبر عملا في غاية الأهمية. حيث تصبح الدعوة إلى الدراسة والاهتمام بالهوية الثقافية ودعم مقوماتها ومرتكزاتها وترسيخ الانتماء إليها خاصةً لدى النشء والشباب من أهم واجبات المؤسسات الاكاديمية والعلمية باعتبارها الأكثر تأثيراً في توجهات وانتماءات المجتمعات، والمتمثلة في الجامعات والمدرسة والأسرة والإعلام باعتبارها من أهم الأوعية التي تزرع مبادئ الثقافة وبالتالي الانتماء الذي يحدد بدوره درجة الهوية الثقافية ومدى عمقها وتبلورها. وعليه فإن الاهتمام بهذه المؤسسات وتعميق التكامل بينها يعتبر أمراً في غاية الأهمية لما تمثله فعالياتها من مرتكزات أساسية في بناء الهوية الثقافية.

يجيء دور المتحف، كحافظ للتراث، لبلورة الموروث الثقافي ليصبح نسيجاً يربط فصائل المجتمع جغرافياً وثقافياً. بمعنى ربط ثقافات متعددة ومتوازنة مع

---

[٢٧] مجموعة أوراق (المتاحف والحضارة والتنمية)

[٢٨] تيزيني، طيب، مفهوم التراث العالمي. مدخل باتجاه التأسيس. مجلة عالم الفكر/العدد الرابع ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٤

المنارة للاستشارات
www.

بيئتها، ذات استمرارية حضارية لتشكيل بنية لدولة حديثة. ويتطلب هذا أن تتحول المتاحف من مستودعات للتاريخ إلى مؤسسة أكثر استجابة لقضايا الوطن وتحدياته واستخدام ذاكرة الأمة في تشكيل هوية وطنية.

على المتاحف أن تبرز تاريخاً مشتركاً وأن تجمع الأدلة لبلورة ذلك التاريخ. وأن تصنع التنوع الاثني والحضاري في المجتمع في إطار وحدوي يشكل منظومة اجتماعية متكاملة خاصة في أعقاب الحروب والصراعات الداخلية كما حدث في دولة جنوب أفريقيا مثلاً. وهنا يجدر أن يصحح المسار التاريخي ليصبح تاريخاً وطنياً يرتكز على ذاكرة وطنية جمعية. فالمتاحف ليست مكاناً لجمع مقتنيات وإنجازات طبقية أو التحيز لفئات دون أخرى تختزل تاريخياً وتراثياً دون غيرها ودون وجه حق.

من الناحية العملية يجدر أن يخطط المتحف ومعروضاته لتشكل رسالة للزائر في ذلك الاتجاه. وعلى المتحف تنظيم معارض مؤقتة ومتنقلة إضافة إلى العروض الدائمة وإقامة معارض فنية تعرض فيها لوحات ومنحوتات. وإقامة محاضرات وندوات ومهرجانات في الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية تصب جميعها في مجرى تلك الغاية.

هنا يجب ألا يهمل المتحف الزوار الأجانب ومحاولة نقلهم من كونهم بعيدين عن هذه الثقافة إلى أنهم جزء من منظومة ثقافية عالمية. وفي مواجهة تيارات العولمة يجب أن تلفت المتاحف لعدم الرضوخ لهيمنة عولمة غربية وإنما لعولمة عالمية تساهم فيها جميع الثقافات لخلق تيار عالمي ثقافي متكامل، في بعض جوانبه على الأقل.

في كل ذلك لابد أن تبتعد المتاحف عن العزلة وتلجأ إلى التعاون مع المؤسسات الحكومية والأهلية والجامعات التي تشاركها ذلك الهم.

المنارة للاستشارات
www.

خلاصة:

لقد أدرك الإنسان اهمية دراسة الماضي والحفاظ عليه بكل مكوناته حيث أن الفهم العميق للتاريخ والحضارات القديمة يساعد المجتمع على تكوين شخصيته واستيعاب هويته الإنسانية والثقافية. وذلك من خلال الدراسة بعمق لفهمه الصحيح كقيم و ثقافة ومبادئ فالتاريخ يرسخ الشعور بالتواصل والارتباط بأصالة الجذور الثقافية والحضارية والهوية الوطنية. وتعد المتاحف من أبرز المؤسسات التي تعكس وتبرز الإهتمام بالتاريخ والتراث الثقافي للأمم حيث تعكس هذه المتاحف جوانب مختلفة من تاريخ الوطن والهوية الثقافية للشعب. ويكمن دور المتاحف على المستوى المجتمعي في زيادة الوعي لدى المواطن بأهمية الحفاظ على تراثه كشاهد تاريخي على أصالة الشعب، كما يمكن الاجيال القادمة من الإطلاع على تاريخها وتراثها الثقافي. ومن ثم نقل هذه السمات والمكونات الثقافية من جيل إلى آخر والتي يتم عبرها تشكيل شخصية الفرد منذ طفولته لينمو في مجتمع ذي ثقافة وقيم حضارية ومبادئ راسخة ولعل الثقافة المتحفية والتي تعتبر عملية تعلم و تعليم وتربية تقوم على التفاعل مع المعروضات والمقتنيات المتحفية بجميع أصنافها.

وعليه فإن إنشاء المتاحف يعتبر ضرورة وطنية يتم من خلالها الحفاظ على التراث الثقافي كثروة وطنية باعتباره أحد المكونات الرئيسية للهوية الثقافية والوطنية للمجتمع السوداني كما يمكن ان يكون موردا مهما للتنمية السياحية المستدامة في المستقبل من خلال تطوير نشاط السياحة الثقافية.

المنارة للاستشارات
www.

المراجع :

١. الجابري، محمد عابد. نحن والتراث. المركز الثقافي العربي/ بيروت١٩٩٣. ط. ٦.
٢. الدباغ. تقي الدين علم المتاحف ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ١٩٧٩.
٣. الشاعر، عبد الرحمن مقدمة في تقنية المتاحف التعليمية، مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٩٢الرياض.
٤. العوامي، عياد موسى.:- مقدمة في علم المتاحف – طرابلس – الطبعة الأولى – ١٩٨٤ المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.
٥. المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، متاحف الفنون الشعبية ، ١٩٩٥تونس.
٦. (تيزيني، طيب، مفهوم التراث العالمي. مدخل باتجاه التأسيس. مجلة عالم الفكر/العدد الرابع ، ٢٠٠٨
٧. دانيال، غلين ، موجز تاريخ علم الآثار ، ترجمة عباس سيد أحمد محمد علي ، دار الفيصل ، ٢٠٠٠م الرياض.
٨. فيليب، آدامز. ترجمة: د. محمد حسن عبد الرحمن – دليل تنظيم المتاحف (إرشادات عملية) – القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٣م.
٩. مجموعة أوراق (المتاحف والحضارة والتنمية) عمان – الأردن – مؤتمر بمبادرة من المجلس الأعلى للمتاحف – نيسان١٩٩٤.
١٠. زهدي ، بشير.: – المتاحف ، دمشق ، ١٩٨٨، منشورات وزارة الثقافة.

Refrences:

Adam, Ahmed, H, A: 2013: Museums in Sudan: Current situation and challenges, A workshop on: Museums in Africa, Ghana, Accra, Septemer 2013.

المنارة للاستشارات
www.

The role of Museums in Preserving Cultural Identity in the Sudan

Dr. Ahmed Hussein•

Abstract:

Museums aimed at exploring in-depth how museums can help preserve national and cultural identity at the Sudan Museums. The Role of Museums and Cultural Institutions in Strengthening Identity, was inaugurated by which aimed to stimulate meaningful dialogue about how museums can preserve and disseminate information about culture in a world that has seen extraordinary changes politically, economically and socially – largely as a result of globalisation. In Africa today, countries realise the important role museums play in dispersing knowledge about cultural heritage and its potential to promote cultural diversity and to heal ethnic divisions. Since museums have a formulative as well as a reflective role in social relations, they have a major role to play a major part in shaping the future political and cultural landscape of the new Africa.So, this paper addresses the museums in the Sudan, their current situation as well as their development.

Museums are institutions of conservation, restoration, research, display and education. As such, Museums of the Sudan are an interesting topic and deserve extensive investigation, despite data being very limited. This research aims to address in shedding some light on Sudanese museums with a focus on archaeological, ethnographic and natural history collections, showing that the museums can act as cultural tools, both to reinforce our national unity and to promote understanding and awareness of Sudan's ancient cultures in the Sudan and abroad,

• **Associate Professor - University of Khartoum - Department of Archeology – Sudan**
ahmedaba77@yahoo.com

المنارة للاستشارات
www.

and to promote links with parallel international institutions, such as other museums in Africa and beyond. The main objectives of the study are to draw attention to Sudanese museums and their important role in education, social studies, society, research, etc., and to put forward suggestions for developing the museums in Sudan from the current situation and challenges.

Key words:
Museums; Cultural Identity; Sudan

المنارة للاستشارات
www.